الفصل الثاني

حَاجَةُ البَشَرِيَّةِ إِلى الرُّسُلِ وَالرِّسَالَات

حَاجَةُ البَشَرِيَّةِ إلى الرُّسُلِ وَالرِّسَالَات

تمهيد

إذا كان الناس في القديم يجادلون الرسل ، ويرفضون علومهم ، ويعرضون عنهم ـ فإن البشر اليوم في القرن العشرين حيث بلغت البشريّة ذروة التقدم المادي ، فغاصت في أعماق البحار ، وانطلقت بعيدا في أجواز الفضاء ، وفجرت الذرة ، وكشفت كثيرًا من القوى الكونية الكامنة في هذا الوجود – أشدُّ جدالاً للرسل ، وأكثر رفضاً لعلومهم ، وأعظم إعراضًا عنهم ، وحال البشر اليوم من الرسل وتعاليمهم كحال الحمر المستنفرة حين ترى الأسد فتفرّ منه لا تلوي على شيء ، قال تعالى : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** ﴾ « سورة المدثر/٤٩ ـ ٥١ » .

يأبى البشر اليوم ـ أكثر من قبل ـ التسليم للرسل وتعاليمهم اغترارا بعلومهم ، واستكبارا عن متابعة رجال عاشوا في عصور متقدمة على عصورهم ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ! فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ « سورة التغابن/٦ » .

واليوم ينفخ شياطين الإنس في عقول البشر يدعونهم إلى التمرد على الله وعلى شريعة الله ، ورفض تعاليم الرسل ، بحجة أنَّ في شريعة الله حجرا على عقولهم ، ووقفا لركب الحياة ، وتجميدا للحضارة والرقيّ ، وقد أقامت الدول اليوم نظمها وقوانينها وتشريعاتها على رفض تعاليم الرسل ، بل إنَّ بعض الدول تضع الإلحاد مبدأً دستوريا ، وهو الذي يسمى بالعلمانية ، وكثير من الدول التي

تتحكم في رقاب المسلمين تسير على هذا النهج ، وقد ترضى عوامّ الناس بأن تضع مادة في دستورها تقول : دين الدولة الإسلام ، ثمَّ تهدم هذه المادة بالموادّ السابقة واللاحقة ، والتشريعات التي تحكم العباد .

فهل صحيح أنَّ البشرية بلغت ـ اليوم ـ مبلغا يجعلها تستغني عن الرسل وتعاليم الرسل ؟ وهل أصبحت البشرية اليوم قادرة على أن تقود نفسها بعيدا عن منهج الرسل ؟

يكفي في الاجابة أن ننظر في حال تلك الدول التي نسميها متقدمة متحضرة كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين ـ لنعلم مدى الشقاء الذي يغشاهم ، نحن لا ننكر انَّهم بلغوا في التقدّم المادي شأوا بعيدا ، ولكنَّهم في الجانب الآخر الذي جاء الرسل وجاءَت تعاليمهم لاصلاحه انحدروا انحدارا بعيدا ، لا ينكر أحد أنَّ الهموم والأوجاع النفسية والعقد النفسية ـ اليوم ـ سمة العالم المتحضر ، الإنسان في العالم المتحضر اليوم فقد إنسانيته ، خسر نفسه ، ولذلك فإن الشباب هناك يتمردون ، يتمردون على القيم والأخلاق والأوضاع والقوانين ، أخذوا يرفضون حياتهم التي يعيشونها ، وأخذوا يتبعون كلّ ناعق من الشرق أو الغرب يلوّح لهم بفلسفة أو دروشة أو طريق يظنون فيه هناءَهم ، لقد تحوّل عالم الغرب إلى عالم تنخر الجريمة عظامه ، وتقوده الانحرافات والضياع ، لقد زلزلت الفضائح أركان الدول الكبرى ، والخافي أعظم وأكثر من البادي ، إنَّ الذين يسمّون ـ اليوم ـ بالعالم المتحضر يخربون بيوتهم بأيديهم ، حضارتهم تقتلهم ، حضارتهم تفرز سموما تسري فيهم فتقتل الأفراد ، وتفرق المجتمعات ، الذين نسميهم اليوم بالعالم المتحضر كالطائر الجبّار الذي يريد أن يحلق في أجواز الفضاء بجناح واحد .

إننا بحاجة الى الرسل وتعاليمهم لصلاح قلوبنا ، وإنارة نفوسنا ، وهداية عقولنا . .

نحن بحاجة إلى الرسل كي نعرف وجهتنا في الحياة ، وعلاقتنا بالحياة وخالق الحياة .

نحن بحاجة الى الرسل كيلا ننحرف أو نزيغ فنقع في المستنقع الآسن

كلام قيّم لابن القيم

يقول ابن القيم مبينا حاجة العباد إلى الرسل وتعاليمهم :

« ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ، وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلّا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلّا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله ألبتة إلّا على أيديهم ، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلّا هديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح ، الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأيّ ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير ، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك ، وصار كالحوت إذا فارق الماء ، ووضع في المقلاة ، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاءه به الرسول كهذه الحال ، بل أعظم ، ولكن لا يحسُّ بهذا إلّا قلبٌ حيٌّ ، وما لجرح بميت إيلام ، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحبَّ نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مستقلٍّ ، ومستكثر ، ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو فضل عظيم »[1] .

ابن تيمية يبين الحاجة إلى الرسل والرسالات

وممن جلى هذه المسألة وبينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

---

(١) زاد المعاد (١/١٥)

قال : « الرسالة ضرورية للعباد ، لا بدَّ لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ، وينالـه من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال الله تعالى : ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ؟ ﴾ « سورة الأنعام/ ١٢٢ » فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نورا يمشي به في الناس ، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات » .

وبين رحمة الله تعالى : «أن الله سمّى رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة ، قال الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ « سورة الشورى/٥٢ » فذكر هنا أصلين ، وهما : الروح ، والنور ، فالروح الحياة ، والنور النور»، وبين رحمة الله تعالى : « أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض ، وبالنّار التي يحصل بها النّور ، وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً ، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِي النَّارِ ، ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ « سورة الرعد/١٧ » .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقبا على الآية : « فشبه العلم بالماء المنزل من السماء ؛ لأنّ به حياة القلوب ، كما أنَّ بالماء حياة الأبدان ، وشبّه القلوب بالأودية ، لأنّها محلّ العلم ، كما أنَّ الأودية محلّ الماء ، فقلب يسع علما كثيرا ، وواد يسع ماءً كثيرا ، وقلب يسع علما قليلا ، وواد يسع ماءً قليلا ، وأخبر تعالى أنّه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء ، وأنّه يذهب جفاءً ، أي : يرمى به ، ويخفى ، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر ،

وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات ، ثمَّ تذهب جفاءً ، ويستقر فيها الايمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس ، وقال : ﴿ **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ** ﴾ فهذا المثل الآخر وهو الناري ، فالأوَّل للحياة ، والثاني للضياء . وبين رحمه الله أن لهذين المثالين نظيرا « وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم من الصواعق حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ « سورة البقرة١٧ ـ ١٩ » .

وبعد أن بيَّن الشيخ رحمه الله وصف المؤمن ، قال : « وأمّا الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حيّ ، وإن كانت حياته حياة بهيمية ، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان ، وبها يحصل للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، فإنَّ الله سبحانه ـ جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم ، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ، وبعثوا جميعا بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه ، وبيان حالهم بعد الوصول إليه » .

ثم بيَّن رحمه الله هذه الأصول التي أشار إليها هنا فقال : « فالأصل الأول يتضمن اثبات الصفات والتوحيد والقدر ، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه ، وهي القصص التي قصّها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم .

والأصل الثاني يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة ، وبيان ما يحبّه الله وما يكرهه . والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر ، والجنّة والنار ؛ والثواب والعقاب .

ثم بيَّن أنَّ « على هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر ، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلاّ من جهة الرسل ، فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها ، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث

الجملة ، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه ، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض ، وتنزيل الدواء عليه »[1] .

مقارنة بين حاجة الأبدان إلى علم الطب والأرواح والأبدان لعلوم الرسل

عقد ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم « مفتاح دار السعادة » مقارنة بيَّن فيها أنَّ حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى علم الطب مع شدَّة حاجة الناس إليه لصلاح أبدانهم ، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم ، قال : « حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية ، فوق حاجتهم إلى كلِّ شيء ، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها ، ألا ترى أنَّ أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة ، وأمَّا أهل البدو كلّهم ، وأهل الكفور كلّهم ، وعامّة بني آدم ـ لا يحتاجون إلى طبيب ، وهم أصحُّ أبدانا ، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ، ولعلّ أعمارهم متقاربة ، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم ، وأجتناب ما يضرهم ، وجعل لكلِّ قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء ، حتى أنَّ كثيرا من أصول الطب إنّما أخذت من عوائد الناس ، وعرفهم وتجاربهم .

وأمّا الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختياريّة ، فمبناها على الوحي المحض ، والحاجة إلى التنفس فضلا عن الطعام ، والشراب ، لأنَّ غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن ، وتعطل الروح عنه ، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح ، والقلب جملة ، وهلاك الأبد ، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت ، فليس النَّاس قطّ إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ والقيام به ، والدعوة إليه . والصبر عليه ، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه ، وليس للعالم صلاح بدون

---

(١) النصوص السابقة من هذا المبحث منقولة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٩/٩٣ ـ ٩٦ .

ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلّا بالعبور على هذا الجسم »[1] .

هل يمكن أن يستغني العقل عن الوحي

يزعم الناس في عالم اليوم أنّه يمكنهم الاستغناء عن الرسل والرسالات بالعقول التي وهبهم الله إياها ، ولذلك نراهم يسنُّون القوانين ، ويحلُّون ويحرِّمون ، ويخططون ويوجهون ، ومستندهم في ذلك كلّه أنَّ عقولهم تستحسن ذلك أو تقبحه ، وترضى به أو ترفضه ، وهؤلاء لهم سلف قالوا مثل مقالتهم هذه « فالبراهمة ـ وهم طائفة من المجوس ـ زعموا أنَّ إرسال الرسل عبث ، لا يليق بالحكيم ، لاغناء العقل عن الرسل ، لأنَّ ما جاءت به الرسل إن كان موافقاً للعقل حسناً عنده فهو يفعله ، وإن لم يأت به ، وإن كان مخالفا قبيحا ـ فإن احتاج إليه فعله وإلّا تركه »[2] .

ولا يجوز في مجال الحجاج والنزاع أن يبادر المسلم إلى انكار قدرة العقل على إدراك الحسن والقبح ، « فإنّ الله قد فطر عباده على الفرق بين الحسن والقبيح ، وركب في عقولهم إدراك ذلك ، والتمييز بين النوعين ، كما فطرهم على الفرق بين النافع والضار والملائم لهم والمنافر ، وركب في حواسهم إدراك ذلك ، والتمييز بين أنواعه .

والفطرة الأولى (وهي فطرته العباد على الفرق بين الحسن والقبيح) هي خاصة الإنسان التي تميز بها عن غيره من الحيوانات ، وأما الفطرة الثانية (وهي فطرته للعباد على الفرق بين النافع والضار . .) فمشتركة بين أصناف الحيوان »[3] والذي ينبغي أن ينازع فيه أمور :

الأول : أنَّ هناك أموراً هي مصلحة للانسان لا يستطيع الإنسان إدراكها

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢)

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٥٦

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/١١٦ .

بمجرد عقله ، لأنها غير داخلة في مجال العقل ودائرته ، « فمن أين للعقل معرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته . . ؟ ، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته ، ورضاه ، وسخطه ، وكراهيته ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه ، وما أعدَّ لأوليائه ، وما أعدَّ لأعدائه ، ومقادير الثواب والعقاب ، وكيفيتهما ، ودرجاتهما ؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحدا من خلقه إلّا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل ، وبلغته عن الله ، وليس في العقل طريق إلى معرفته »[1] .

الثاني : أن الذي يدرك العقل حسنه أو قبحه يدركه على سبيل الاجمال ، ولا يستطيع أن يدرك تفاصيل ما جاء به الشرع ، وإن أُدركت التفاصيل فهو إدراك لبعض الجزئيات وليس إدراكا كليّا شاملا « فالعقل يدرك حسن العدل ، وأما كون هذا الفعل المعين عدلا أو ظلما فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كلِّ فعل وعقد »[2] .

الثالث : أن العقول قد تحار في الفعل الواحد ، فقد يكون الفعل مشتملا على مصلحة ومفسدة ، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أم مصلحته ، فيتوقف العقل في ذلك ، فتأتي الشرائع ببيان ذلك ، وتأمر براجح المصلحة ، وتنهى عن راجح المفسدة ، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره ، والعقل لا يدرك ذلك ، وتأتي الشرائع ببيانه ، فتأمر به من هو مصلحة له ، وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقّه ، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر ، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل ، فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة ، والمفسدة الراجحة »[3] .

وفي هذا يقول ابن تيمية : « الانبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته ، ولم

---

(١) مفتاح دار السعادة ١١٧/٢ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١١٧/٢ .

(٣) مفتاح دار السعادة ١١٧/٢ .

يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه ، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول»[1] .

الرابع : ما يتوصل إليه العقل وإن كان صحيحا فإنه ليس إلا فرضيات ، قد تجرفها الآراء المتناقضة ، والمذاهب الملحدة .

ولو استطاعت البقاء فإنها ـ في غيبة الوحي ـ ستكون تخمينات شتى ، يلتبس فيها الحق بالباطل .

بطلان قول البراهمة

والبراهمة الذين يزعمون أنَّ العقل يغني عن الوحي لا نحتاج إلى إيراد الحجج لابطال قولهم ، وكل ما نفعله أن نوجه الأنظار إلى ما قادتهم إليه عقولهم التي زعموا أنهم يستغنون بها عن الوحي ، هذا زعيم من زعمائهم في القرن العشرين يقول مفاخرا :[2] « عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانا، لأني أعبد البقرة ، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع » . ولقد قاده عقله إلى تفضيل أمّه البقرة على أمّه التي ولدته : « وأمّي البقرة تفضل أمّي الحقيقية من عدّة وجوه ، فالأمّ الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منّا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكنَّ أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ، ولا تطلب منّا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادي . . . » ومضى عابد البقر يقارن بين أمّه البقرة وأمّه الحقيقية موردا الحجج والبراهين على أفضلية أمّه البقرة على أمّه الحقيقية إلى أن قال : « إنَّ ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والاجلال ، وأنا أعدّ نفسي واحدا من هؤلاء الملايين » .

وقد قرأت منذ مدة في مجلة العربي التي تصدر في الكويت عن معبد فخم مكسوّ بالرخام الأبيض ترسل إليه الهدايا والألطاف ـ من شتى أنحاء الهند ، بقي

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٢/٢ .

(٢) هو زعيم الهند غاندي ، انظر أقواله هذه في كتاب مقارنة الأديان ٣٢/٤ (نظرات في النبوة ص ٢٧)

أن تعلم أنَّ الآلهة التي تقدم لها القرابين وترسل لها النذور في ذلك المعبد الفخم إنّما هي الفئران .

هذه بعض الترهات التي هدتهم إليها عقولهم التي زعموا أنَّ فيها غنية عن الوحي الإلهي .

مجالات العقل

إن الذين يريدون أن يستغنوا عن الوحي بالعقل يظلمون العقل ظلما كبيرا ، ويبددون طاقة العقل في غير مجالها ، « إن للعقل اختصاصه وميدانه وطاقته ، فإذا اشتغل خارج اختصاصه جانبه الصواب ، وحالفه الشطط والتخبط ، وإذا أجري في غير ميدانه كبا وتعثر ، وإذا كلف فوق طاقته كان نصيبه العجز والكلال .

إن العالم المادي المحسوس أو عالم الطبيعة هو ميدان العقل الفسيح الذي يصول فيه ويجول ، فيستخرج مكنوناته ، ويربط بين أسبابه وعلله ، ومقدماته ونتائجه ، فيكشف ويخترع ، ويتبحّر في العلوم النافعة في مختلف ميادين الحياة ، وتسير عجلة التقدم البشري إلى أمام .

أما إذا كلف النظر خارج اختصاصه أعني ما وراء الطبيعة فإنه يرجع بعد طول البحث والعناء بما لا يروي غليلا ولا يشفي عليلا ، بل يرجع بسخافات وشطحات »[1] .

موقع العقل من الوحي

يزعم كثير من الناس أنَّ الوحي يلغي العقل ويطمس نوره ، ويورثه البلادة والخمول ، وهذا زعم كاذب ، ليس له من الصحة نصيب ، فالوحي الإلهي وجّه العقول إلى النظر في الكون والتدبر فيه ، وحث الإنسان على استعمار هذه الارض ، واستثمارها ، وفي مجال العلوم المنزلة من الله وظيفة العقل أن ينظر فيها

---

(١) نظرات في النبوة ص ١٧ .

ليستوثق من صحة نسبتها إلى الله تعالى ، فإن تبين له صحة ذلك فعليه أن يستوعب وحي الله إليه ، ويستخدم العقل الذي وهبه الله إياه في فهم وتدبر الوحي ، ثم يجتهد في التطبيق والتنفيذ .

والوحي مع العقل كنور الشمس أو الضوء مع العين ، فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله ، كما أنَّ المبصر لا ينتفع بعينيه إذا عاش في ظلمة ، فإذا أشرقت الشمس وانتشر ضوءها انتفع بناظريه ، وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾.« سورة الحج/٤٦ » .